

تفسير البحر المحيط

@ 193 @ تعالى أنه خلق أهلاً للسعادة وأهلاً للشقاوة ، وأنه لو أراد إيمانهم كلهم لفعل ، وأنه لا قدرة لأحد على التصرف في أحد . والمقصود بيان أن القدرة القاهرة والمشئنة النافذة ليست إلا له تعالى . وتقديم الاسم في الاستفهام على الفعل يدل على إمكان حصول الفعل ، لكن من غير ذلك الإسم فإن تعالى أن يكره الناس على الإيمان لو شاء ، وليس ذلك لغيره . .

وقال الزمخشري : ولو شاء ربك مشئنة القسر وإلا لجاؤ لآمن من في الأرض كلهم على وجه الإحاطة والشمول جميعاً ، مجتمعين على الإيمان ، مطبقين عليه ، لا يختلفون فيه . ألا ترى إلى قوله تعالى : { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُهُ الذِّسَّاسَ } يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم على الإيمان هؤلاء أنت . وإتلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه ، وإنما الشان في المكروه من هو ، وما هو إلا هو وحده ولا يشارك فيه ، لأنه تعالى هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان ، وذلك غير مستطاع للبشير انتهى . وقوله : مشئنة القسر والإلجاء هو مذهب المعتزلة . وقال ابن عطية : المعنى أن هذا الذي تقدم ذكره إنما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشئنته فيهم ، ولو شاء الله لكان الجميع مؤمناً ، فلا تتأسف أنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك ، وادع ولا عليك ، فالأمر محتوم . أتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم ، وتضطرهم إلى ذلك والله عز وجل قد شاء غيره ؟ فهذا التأويل الآية عليه محكمة أي : ادع وقاتل من خالفك ، وإيمان من آمن مصروف إلى المشئنة . وقالت فرقة : المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الإيمان ؟ وزعمت أن هذه الآية في صدر الإسلام ، وأنها منسوخة بآية السيف ، والآية على كلا التأويلين رادة على المعتزلة انتهى . ولذلك ذهب الزمخشري إلى تفسير المشئنة بمشئنة القسر والإلجاء ، وهو تفسير الجبائي والقاضي . ومعنى إلا بإذن الله . أي بإرادته وتقديره لذلك والتمكن منه . وقال الزمخشري : بتسهيله وهو منح الإلطف . ويجعل الرجس : وهو الخذلان على الذين لا يعقلون ، وهم المصرون على الكفر . وسمى الخذلان رجساً وهو العذاب ، لأنه سببه انتهى . وهو على طريق الاعتزال . وقال ابن عباس : الرجس السطح ، وعنه الإثم والعدوان . وقال مجاهد : ما لا خير فيه . وقال الحسن ، وأبو عبيدة ، والزجاج : العذاب . وقال الفراء : العذاب والغضب . وقال الحسن أيضاً : الكفر . وقال قتادة : الشيطان ، وقد تقدم تفسيره ، ولكن نقلنا ما قاله العلماء هنا . وقرأ أبو بكر ، وزيد بن علي : ونجعل .

بالنون ، وقرأ الأعمش : ويجعل ا□ الرجز بالزاي . .

{ قُلْ انظُرُوا ° مَاذَا فِي ° السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ °
وَالنُّذُرُ عَنِ قَوْمٍ لَّا ° يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ ° يَنْتَظِرُونَ إِلَّا ° مِثْلَ ° أَيَّامِ °
الَّذِينَ ° خَلَوْا ° مِنْ قَبْلِهِمْ ° قُلْ ° فَانظُرُوا ° إِنَّ نَسِي مَعَكُمْ ° مَنْ °
الْمُنْتَظِرِينَ } : أمر تعالى بالفكر فيما أودعه تعالى في السموات والأرض ، إذ السبيل
إلى معرفته تعالى هو بالتفكر في مصنوعاته ، ففي العالم العلوي في حركات الأفلاك
ومقاديرها وأوضاعها والكواكب ، وما يختص بذلك من المنافع والفوائد ، وفي العالم السفلي
في أحوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان ، وخصوصاً حال الإنسان . وكثيراً ما ذكر
ا□ تعالى في كتابه الحز على الفكر في مخلوقاته تعالى وقال : ماذا في السموات والأرض
تنبيهاً على القاعدة الكلية ، والعاقل يتنبه لتفاصيلها وأقسامها . ثم لما أمر بالنظر
أخبر أنه من لا يؤمن لا تغنيه الآيات . .

والنذر جمع نذير ، إما مصدر فمعناه الإنذارات ، وإما بمعنى منذر فمعناه المنذرون
والرسل . وما الظاهر أنها للنفي ، ويجوز أن تكون استفهاماً أي : وأي شيء تغني الآيات
وهي الدلائل ؟ وهو استفهام على جهة التقرير . وفي آية توبيخ لحاضري رسول ا□ صلى ا□
عليه وسلم) من المشركين . وقرأ الحرميان